



مقدمة:

لما كان الاختلاف قضية لا بد من حدوثها وكان الحوار سبيلاً للإقناع و إقامة الحجة، كان لا بد لهذا الحوار الذي سيقابل المسلم في بيته مع زوجه و أبنائه، وفي خارجه مع إخوانه و زملائه، أو من يقابلة من مسلم مؤمن بالله أو كافر جاحد للإسلام، كان لا بد لهذا الحوار من آداب ، وقد جاء في الكتاب و السنة من ذلك شيء عظيم الفائدة كثير العائد، وبين لنا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بأمثلة واقعية حصلت معه لتكون لنا مدرسة عملية.

عناصر الخطبة:

- 1 حواره مع المسلم.
- 2 حواره مع المشرك.
- 3 حواره مع المنافق.
- 4 حواره مع الجاهل.
- 5 الحرص على استقطاب المخالف و هدايته.

1- حواره مع المسلم

في غزوة حنين رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتآلف البعض بالغائم تأليفاً لقلوبهم، وذلك لحداثة عهدهم بالإسلام، فأجزل العطاء لزعماء قريش وغطفان وتميم، إذ كانت عطيه الواحد منهم مائة من الإبل، وقد تأثر بعض الأنصار بحكم الطبيعة البشرية، وظهر بينهم نوع من الاعتراض على ذلك، فراعي النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاعتراض وعمل على إزالته بحوار رقيق، يتسم بالحكمة والرفق، والود والحب .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (لما أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطاء في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد - غضب - هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كنرت فيهم القالة، حتى قال قائلهم : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطاء عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟، قال: يا رسول الله، ما أنا إلا امرؤ من قومي، وما أنا من ذلك، قال : فاجتمع لي قومك في هذه الحظيرة، قال : فخرج سعد فجتمع الناس في تلك الحظيرة، قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا أتاه سعد، فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، قال : فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو له أهل، ثم قال : يا معاشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم

وَجِدَةً وَجَدَتْهُمْهَا فِي أَنفُسِكُمْ، أَلَمْ تَكُونُوا ضَلَالًا فَهَدَاهُمُ اللَّهُ، وَعَالَةٌ – فَقَرَاءٌ – فَأَغْنَاهُمُ اللَّهُ، وَأَعْدَاءُ فَأَلَفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟، قَالُوا: بِلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَمْنٌ وَأَفْضَلُ، قَالَ: أَلَا تَجْبِيَنِي يَا مَعْشِرَ الْأَنْصَارِ؟، قَالُوا: وَبِمَاذَا نَجِيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ وَلِرَسُولِهِ الْمَنْ وَالْفَضْلُ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شَئْتُمْ لِقَلْتُمْ فَلَاصِدَقُوتُمْ وَصَدِيقُوتُمْ، أَتَيْتُنَا مُكَذِّبًا فَصَدَقْنَاكُمْ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكُمْ، وَطَرِيدًا فَأَوْيَنَاكُمْ، وَعَائِلًا فَأَسِينَاكُمْ، أَوْجَدْتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ يَا مَعْشِرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَائِعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأْلَفْتُ بِهَا قَوْمًا يُلِسْلِمُوْا، وَوَكْلَتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أَلَا تَرْضُونَ يَا مَعْشِرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاهَةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رَحَالِكُمْ؟، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ يَبْدِه لَوْلَا الْهِجْرَةَ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتُ الْأَنْصَارُ شَعْبًا لِسَلَكَتْ شَعْبًا لِأَنْصَارًا، اللَّهُمَّ أَرْحَمَ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لَهَا حَاجَمَهُ، وَقَالُوا: رَضِيَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَسْمًا وَحَطَّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقُوا (رواه البخاري ومسلم، رواه أحمد: 255)

لقد وجد الأنصار في أنفسهم كما يجد أي إنسان من أنهم هم الذين قاتلوا وجاحدوا ثم بعد ذلك تصرف الأموال إلى غيرهم، بل إلى رؤساء أعدائهم، لذلك قالوا في رواية أخرى للحديث: (يعطي قريشاً وسفيوفنا لا زالت تقطر من دمائهم) في ظاهر الأمر يحق لهم أن يعتبوا، ولكن نظر النبي صلى الله عليه وسلم أوسع من نظرهم، والمصلحة التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم في إعطاء المؤلفة قلوبهم كانت أكبر من إعطاء الأنصار تلك اللعاعة من الدنيا ولذلك وكلهم إلى إيمانهم، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار وحدهم واتبع معهم أسلوبها تربوياً حكيمًا رقيقاً خاطب فيه عقولهم وعواطفهم، فكانت النتيجة أن انقادوا طائرين راضين بقسمة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن القيم ينوه بما في هذا الحوار النبوي من النفع: "ولما شرح لهم صلى الله عليه وسلم ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنعوا رجعوا مذعنين، ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عَوْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَلَادِهِ" .

2- حواره مع المشرك

انظر إلى هذا الحوار الرأقي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين عتبة بن ربيعة من سادة قريش.. يقول عتبة بن ربيعة وهو يساوم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك الإسلام: «يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّكَ مَنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السِّلْطَةِ فِي الْعِشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسْبِ، إِنَّكَ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرَقْتَ بِهِ جَمَاعَتِهِمْ، وَسَفَهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ، وَعَبَّتَ بِهِ أَهْلَهُمْ وَدِيَنَهُمْ، وَكَفَرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِي أَعْرَضْ عَلَيْكَ أَمْوَارًا تَنْتَظِرُ فِيهَا لَعْلَكَ تَقْبِلُ مِنْهَا بَعْضَهَا». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ». قَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّكَ مَنَّا تَرِيدُ بِمَا جَئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَا لَأَ جَمِعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرُنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ بِهِ شَرْفًا سُوْدَنَاكَ عَلَيْنَا حَتَّى لَا نَقْطِعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ بِهِ مُلْكًا مُكَنَّاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَئِيْسًا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ طَلَبْنَا لَكَ الْطَّبِ وَبِذَلِكَ فِيهِ أَمْوَالُنَا حَتَّى نُبَرِّئَكَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ رَبِّما غَلَبَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُنَادِيَ مِنْهُ حَتَّى فَرَغَ عَتَبَةُ، وَرَسُولُ اللَّهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِمُ مِنْهُ قَالَ: أَقْدَ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَسْمَعْ مِنِّي، قَالَ: أَفْعَلْ.

فَقَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حَمْ * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُحْشِلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * يَشِيرًا وَتَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْتَنَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي أَذَانِنَا وَقُرْ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ) (فصلت 1-5)

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنسَت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ فَأَنْتَ وَذَاكَ.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورأي أني قد سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشّعر ولا بالكّهانة. يا عشر قريش، أطّيعوني، واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكُونَ لقوله الذي سمعت منه نبأً عظيم، فإنْ تُصِّبُّهُ العرب فقد كُفِيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وإنْ يَظْهُرَ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُكُمْ، وَعِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِهِ. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بسانه!! قال: هذا رأي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم .

هذا الحوار في غاية الأهمية؛ فعلى الرغم أن عتبة بن ربيعة كان قد قدّم كلامه بمجموعة من التّهم الموجّهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن رسول الله ظل على هدوء أعصابه ولم ينفعل، إنما واصل الاستماع في أدبٍ واحترام، مع أن عتبة عرض على النبي صلى الله عليه وسلم التنازل عن دعوته مقابل ما يعرضه عليه من مغريات الدنيا، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم أن يستمع إليه، بل قال له: قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ.. فهو يُكَنِّيه بِكُنْيَتِهِ، أي يُناديه بأحب الأسماء إليه ويلاطفه ويرقّ قلبه، ولما عرض عتبة بن ربيعة الأمور التي جاء بها لم يقاطعه النبي صلى الله عليه وسلم مع سفاهة العروض وتفاهاها، بل إنه صبر حتى النهاية، وقال في أدبٍ رفيع: أَقْدَ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؛ قال: نعم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَأَسْمَعْ مِنِّي».

لقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الفرصة كاملة لعتبة لكي يتكلّم ويعرض وجهة نظره، وبعد انتهاءه تماماً بدأ رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم في الكلام؛ ليضرب لنا بذلك أروع الأمثلة في التحاور مع الآخرين، وإن كانوا مخالفين تماماً في العقيدة والدين.

ماذا لو لم يسمح رسول الله لعتبة بأن يتم كلامه وقال له أنا على حق وأنت على باطل، أو قال له بل أنت استمع مني ومثلي لا يستمع لمثلك، أو رفض أن يجلس معه ويحاوره؟! أكان عتبة سيخرج بمثل ما خرج به، أكان سيستمع لكلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ أكان سيخرج مادحًا لدين النبي صلى الله عليه وسلم؟
فصلى الله على الرّحمة المهدأة، نبي الحكمة والحلم والأنّة.

3- حواره مع المنافق:

لقد لقي النبي عليه الصلاة والسلام من المنافقين ما تشيب منه النواصي من المواقف الدنيئة، والأفعال الساقطة. ومع ذلك فقد كان عليه الصلاة والسلام يعاملهم بما يشبه معاملة المهدّين من الرّحمة والرفق، ومعاملة الإساءة بالعفو أو الإحسان.

وكان يحاورهم بالطف المحاورة، ويحملهم على ظواهرهم، دون بحث عما تكنه سرائرهم، وتنطوي عليهم دخائل نفوسهم. ويشهد لذلك حوادث كثيرة، ولعل أجلاها ما كان من أمره مع رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وإليك طرفاً من ذلك. جاء في البخاري عن أسماء بن زيد، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رَكِبَ عَلَى حَمَارٍ عَلَى قَطِيفَةِ فَدَكِيَّةٍ)، وأرْدَفَ أَسَمَّةَ بْنَ زَيْدَ وَرَاءَهُ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ مِنَ الْخَرْجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، حَتَّى مَرَ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَبْلَ أَنْ يَسْلُمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَبِي: يَتَظَاهِرُ بِالْإِسْلَامِ فَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدُ الْأَوْثَانَ وَالْيَهُودَ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَّتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةً الدَّابَّةَ خَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْفَهُ بِرَدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تَغْبِرُونَا عَلَيْنَا، فَسَلَمَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدْعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بْنِ سَلْوَلَ: أَيْهَا الْمَرْءُ! إِنَّهُ لَا أَحْسَنُ مَا تَقُولُ، إِنَّ كَانَ حَقًا فَلَا تَؤْذِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلَكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بْلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا إِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَّهَاوِرُونَ، فَلَمَّا يَنْزَلَ النَّبِيُّ "يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ دَابِتَهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: يَا سَعْدَ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا

قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال: كذا وكذا

قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك وقد اصطلاح أهل هذه البحيرة - البلدة وهي يثرب - التي صارت المدينة وطيبة على أن يتوجوه فيعصيّوه بالعصابة أي: يتوجوا عبد الله بن أبي ملكاً عليهم فَلَمَّا أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ، فَاتَّتِ الْفُرْصَةُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، وفاته الملك للإسلام الذي جاء؛ فلما أبى الله ذلك بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِقَ بِذَلِكَ أي: غص به وكرهه فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ (البخاري):

(4566)

فهذا الحديث من أعظم ما يكون من أمثلة التعامل مع المخالف.

ولو أراد باحث أن يستقصي ما فيه مما يتعلق بالحوار لطال به المقام؛ فانظر كيف استُقبلَ عليه الصلاة والسلام بذلك الاستقبال الفاتر الذي لا يليق بأحاط الناس فكيف بخير الناس، حيث غطى ابن أبي أنفه بردائه إشارة إلى الكراهة. ولم يكتف بذلك، بل قال: (لا تغروا علينا) فاجتمع في الإساءة إشارةً اليـد، وإطلاقـ اللسان.

ولم ينل ذلك الموقف نيله من النبي عليه الصلاة والسلام بل سـلم عليهم؛ فلم يقابل إساعتهم إلا بالإحسان، ثم وقف وتواضع فنزل عن دابته ودعـهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، ثم أعـطـي الفرصة لمحـاورـيه، فتقدمـهم عبد الله بن أبي، فقال بكل صفـاقـة وشكـ: (أـيـهاـ المـرـءـ، إـنـهـ لـأـحـسـنـ مـاـ تـقـوـلـ، إـنـ كـانـ حـقـاـ فـلـأـتـؤـذـنـاـ بـهـ فـيـ مـجـلـسـنـاـ، اـرـجـعـ إـلـىـ رـحـلـكـ فـمـنـ جـاءـكـ فـاقـصـصـ عـلـيـهـ) فقد نادـيـ النبيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ "بـنـدـاءـ المـنـكـرـ لـهـ وـلـنـبـوـتـهـ فـقـالـ: (أـيـهاـ المـرـءـ) ولم يـقـلـ: يـاـ نـبـيـ اللـهـ أـوـ يـاـ أـبـيـ القـاسـمـ أـوـ يـاـ مـحـمـدـ.

وبعد أن استـبـ مجلسـ، وكـادـواـ يـتـقـاتـلـونـ صـارـ عـلـيـهـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ يـخـفـضـهـ بـلـهـجـتـهـ الـهـادـيـةـ الرـحـيمـةـ حـتـىـ سـكـنـواـ، وـزـالـتـ عـنـهـ سـوـرـةـ الغـضـبـ.

ثم لـمـ يـجـدـ لـلـحـوارـ قـيـمةـ بـعـدـ ذـلـكـ رـكـبـ دـابـتـهـ، وـانـصـرـفـ.

وـهـلـ وـقـفـ الـأـمـرـ عـنـدـ هـذـاـ ؟ـ لـاـ،ـ بـلـ إـنـهـ لـمـ دـخـلـ عـلـىـ سـعـدـ بـنـ عـبـادـةـ قـالـ عـلـيـهـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ: يـاـ سـعـدـ !ـ أـلـمـ تـسـمـعـ مـاـ قـالـ أـبـيـ حـبـابـ يرـيدـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ أـبـيـ قـالـ: كـذاـ وـكـذاـ.

فـتـأـمـلـ هـذـاـ الـأـدـبـ الرـفـيـعـ،ـ وـهـذـهـ النـفـسـ الـكـبـيرـةـ،ـ وـذـلـكـ الـقـلـبـ الـمـفـعـمـ بـالـحـبـ وـالـعـدـلـ وـالـإـحـسـانـ،ـ لـمـ يـقـلـ: أـلـمـ تـسـمـعـ مـاـ قـالـ ذـلـكـ الـأـشـقـيـ،ـ أـوـ الـأـلـدـ،ـ أـوـ غـيرـهـ مـنـ الـأـلـفـاظـ الـتـيـ تـلـيقـ بـعـبـدـ اللـهـ بـنـ أـبـيـ،ـ بـلـ لـمـ يـسـمـهـ بـاسـمـهـ الـمـجـرـدـ،ـ وـلـمـ يـقـلـ: اـبـنـ أـبـيـ،ـ وـفـيـ ذـلـكـ عـدـلـ وـإـقـسـاطـ.

وـإـنـماـ اـرـتـقـيـ؛ـ لـيـفـصـحـ عـمـاـ هـوـ أـعـظـمـ مـنـ ذـلـكـ،ـ وـلـيـبـينـ مـدـىـ تـسـامـحـهـ،ـ وـرـفـقـهـ،ـ وـرـأـفـتـهـ،ـ وـسـلـامـةـ صـدـرـهـ،ـ وـتـرـفـعـهـ؛ـ فـكـنـاـهـ بـكـنـيـتـهـ وـقـالـ: يـاـ أـبـيـ حـبـابـ.

وـالـتـكـنـيـةـ الـمـحـبـبـةـ إـلـىـ إـلـنـسـانـ هـيـ مـاـ يـسـرـهـ؛ـ وـلـاـ يـقـولـهـ مـنـ فـيـ نـفـسـهـ غـضـبـ أـوـ غـضـاضـةـ،ـ وـمـعـ ذـلـكـ كـنـاـهـ بـكـنـيـتـهـ الـمـحـبـبـةـ إـلـيـهـ،ـ مـعـ أـبـنـ أـبـيـ نـادـاـهـ بـ:ـ (ـيـاـ أـيـهاـ المـرـءـ)ـ

ثـمـ تـأـمـلـ مـاـ كـانـ مـنـ ذـلـكـ السـيـدـ الـأـلـمـعـيـ الصـحـابـيـ الـجـلـيلـ سـعـدـ بـنـ عـبـادـةـ؛ـ حـيـثـ لـمـ حـمـ تـأـرـ النـبـيـ"ـ وـأـدـرـكـ سـعـةـ نـفـسـهـ،ـ وـكـبـرـ قـلـبـهـ بـكـنـيـتـهـ اـبـنـ أـبـيـ،ـ فـأـرـادـ تـسـلـيـتـهـ وـطـلـبـ الـعـفـوـ مـنـهـ؛ـ فـطـابـتـ نـفـسـهـ عـلـيـهـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ وـعـفـاـعـاـ عـنـ اـبـنـ أـبـيـ.

وـهـلـ صـارـ لـذـلـكـ الـحـوارـ،ـ وـتـلـكـ إـسـاءـةـ مـنـ اـبـنـ أـبـيـ أـثـرـ فـيـ نـفـسـ النـبـيـ"ـ وـهـلـ قـطـعـ إـحـسـانـهـ عـنـهـ؟ـ أـوـ جـعـلـهـ ذـرـيـعـةـ لـلـوـقـيـعـةـ فـيـهـ؟ـ وـهـلـ تـوـقـفـ اـبـنـ أـبـيـ عـنـ مـخـازـيـهـ؟ـ لـاـ؛ـ فـهـوـ الـذـيـ آذـىـ النـبـيـ أـيـمـاـ أـذـيـهـ؛ـ حـيـثـ آذـاـهـ فـيـ بـيـتـهـ كـمـاـ فـيـ قـصـةـ الـإـلـفــ فـهـوـ الـذـيـ تـوـلـيـ كـبـرـهـ،ـ وـأـشـاعـ قـالـةـ السـوـءـ عـنـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ.

وـهـوـ الـذـيـ رـجـعـ بـمـنـ تـبـعـهـ مـنـ الـطـرـيـقـ يـوـمـ أـحـدـ،ـ فـخـذـلـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ أـحـرـ أـوـقـاتـهـ،ـ

وـهـوـ الـذـيـ قـالـ: (ـلـئـنـ رـجـعـنـاـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ لـيـخـرـجـنـ أـلـعـزـ مـنـهـ الـأـذـلـ)ـ (ـالـمـنـافـقـونـ:ـ 8ـ)

وهو صاحب المواقف المشهورة بالخزي والشمار.

هذا الرجل الذي كان من شأنه ما كان لما مات طلب ابنه من النبي قميصه؛ ليكتفه فيه تطهيراً له؛ فأعطاه قميصه كفناً لزعيم المنافقين !

أرأيت أكرم من هذا الصنيع؟ وهل وقف الأمر عند هذا الحد؟
فهذه بعض مواقفه مع زعيم المنافقين، فما ظنك بمن دونه؟

ولأرباب أن لتلك الحوارات والمواقوف أثراها البالغ على المواقف والمخالف، فالموافق يأخذ العبرة فيصبر على جفاء المسيء،
وينتظر حسن العاقبة.

والمخالف يُقصِّر عن التمادي، ويراجع نفسه، وربما رجع عن غيه؛ لأن النار إنما تُذكى بالعودين.
والمتأمل للسيرة النبوية يلحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليستعدِّي أحداً من الناس كائناً من كان، بل كان يخطب
اللود في كافة حواره، وفي أي فرصة تسعن له.

4- حواره مع الجاهل:

عن أنس رضي الله عنه قال: (بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيُّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُتَرْمُوهُ دَعْوَهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى يَالَّ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِّنْ هَذَا الْبَيْوْلِ، وَلَا الْقَدَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةَ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِّنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِّنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ) (رواه مسلم/285)

قال ابن حجر: " وفيه الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزم من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً .

وقال النووي: " وفيه الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزم من غير تعنيف ولا إيذاء، إذا لم يأت بالمخالفة استخفافاً أو عناداً ،
ووبيه دفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما .

فانظر كيف حاور هذا الأعرابي حواراً عقلياً رقيقاً حتى عقل عنه واستسلم لحكم الشرع وأذعن، ولو قوبل بقسوة فلربما آذى
بأكثر من ذلك ولباء بإثم مخالفته للشرع وعدم استسلامه له، فصلى الله على معلم البشرية ومن هو بالمؤمنين رؤوف رحيم.

5- الحرص على استقطاب المخالف ودعايته:

إن المسلم يقصد من حواره مع المخالف أن يجذبه للحق الذي يحمله ويدين به، وأن يستخرجه من ظلمات الجهل أو الكفر،
وهذا لن يتحقق إلا بالرحمة بالمخالف والرفق واللين معه حتى يُؤتي الحوار ثماره، ولا أعظم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم معلماً لورثته من العلماء والدعاة وطلاب العلم آداب الحوار، ومنها:
أ- احترام شخص المحاور مع بيان خطأه بأدب:

لقد علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم الطريقة المثلثة في التعامل مع غير المسلمين، فدللنا على أنه لا يكفي أن تعرف
بوجود الآخرين، ولكن عليك أيضاً أن تحترمهم.. ولم يكن هذا الأمر اجتهاداً منه صلى الله عليه وسلم دون وحي رباني أو
أمر إلهي، بل كان موافقاً تماماً لما جاء في كلام الله عز وجل في القرآن الكريم في شأن التعامل مع المخالفين لنا في
العقيدة والدين.

يقول الله عز وجل في كتابه يعلمنا طريقة التحاور مع غير المسلمين: (فُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قُلْ لَا تُسَأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسَأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا

إن رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم يعلم على وجه اليقين أنه على الحق والهدى، ومع ذلك أمره الله في تحاوره مع المشركين أن يقول لهم: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)

إنها الأرضية المشتركة التي نقف عليها، أحدها على حق والآخر على باطل، فلتناقش ولنتحاور حتى نصل إلى الحقيقة الغائبة..

إنها طريقة الحوار المثلث، وغاية الأدب، ومنتهى سمو الأخلاق. ثم يعلمه الله أن يخاطبهم في أدب جمّ فيقول لهم: (قُلْ لَا تُسَأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسَأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

إنه ينسب لفظ «الجُرم» إلى نفسه، وهو عادة يأتي في الأخطاء والزلات، وينسب لفظ «العمل» لهم وهو يحمل الصلاح أو الفساد.

ثم إنه يُسَلِّمُ الأمر كله لله، فيقول: إن الله سيجمع بيننا جميعاً يوم القيمة، ويحكم بيننا بالحق الذي يراه، فنعرف ساعتها من الذي أصاب ومن الذي أخطأ.

إنها أرقى وسيلة ممكنة من وسائل التحاور، لا تحمل أي صورة من صور العصبية والتزمت، إنما فيها كل الأدب، وكل التقدير للطرف الآخر.

ومثل هذا يقال على ما جاء في القرآن محدداً طريقة الحوار مع أهل الكتاب، قال تعالى: (وَلَا تُجَارِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْأَيْتِيْهِ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (العنكبوت: 46)

إنه لا يطلب منا أن نتحاور مع أهل الكتاب بأسلوب حسنٍ فقط، بل يطلب منا دائماً أن نبحث عن الأسلوب الأحسن والأفضل والأجمل.

ثم انظر إلى تقريب العقول وترقيق القلوب، حين يقول: (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ).

إنه لا ينظر فقط إلى نقاط الخلاف، وإنما يبدأ أولاً في نقاط الاتفاق وينطلق منها.

وعلى هذا النسق راجع الآيات القرآنية ل تستمتع بالكنوز الأخلاقية.. يقول تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةِ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهُدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: 64)

ويقول تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَاصْفُحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: 109).

ب - الإنصات للمحاور:

ومن جمال الحوار أن رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم كان يستمع إلى مخالفيه وينصت، حتى لو كانت عروضهم غير مقبولة عقلاً أو شرعاً، فكان يعطيهم فرصة الكلام والتعبير عن الرأي؛ لتناح له بعد ذلك فرصة الكلام وشرح ما يدعو إليه، ومن ذلك قوله لعتبة: (قل يا أبا الوليد أسمع)، وقوله له كذلك: (أفرغت يا أبا الوليد).

ج - إِنْزَالُ الْمَحَاوِرِ مِنْزَلَتِهِ:

جاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل ملك الروم كتاباً دعاه فيه إلى الإسلام، وفيه: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى هَرْقُلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَيَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدُعَائِيَّةِ إِلَسِلَامِ، أَسْلَمْ تَسْلِمْ يُؤْتَكَ اللَّهُ أَجْرُكَ مُرْتَبِكَ، فَإِنْ تُوْلِيَتْ فَإِنْ عَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرْبَيْسِيْنِ - الْفَلَاحِينَ وَالْأَتْبَاعِ - وَ(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنُكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا: اشْهُدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آل عمران 64، رواه البخاري/ 7، ومسلم/ 1773)

فمن آداب الحوار النبوى مع الآخرين الاستماع والمناقشة، وإنزال الناس منازلهم فقد قال - صلى الله عليه وسلم - لعتبة (أفرغت يا أبا الوليد)، وقال لهرقل ملك الروم النصراني (من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم) وذلك الأدب النبوى في الحوار أصله قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم)

ومن شواهد ذلك ما جاء في حديث وفد عبدالقيس لما وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [\(إن وفد عبدالقيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال: من القوم، أو من الوفد؟ قالوا: ربعة، قال: مرحباً بال القوم غير خزايا ولا ندامى\)](#) (البخاري/ 7266)

وكان سبب استفساره هو الرغبة في التعرف عليهم؛ لينزلهم منازلهم، ويتحدث معهم مراعياً أحوالهم.
قال ابن أبي جمرة تعليقاً على الحديث: فيه دليل استحباب سؤال القاصد عن نفسه؛ [ليُعرَفَ، فَيُنْزَلَ](#) منزلته.

د - النظر في شبهات المهاورين، والإجابة عنها:

ففي ذلك إرضاء لهم، وتطييب لنفوسهم. ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في الصحيحين عن سهل بن حنيف أنه قام يوم صفين، فقال: (أيها الناس اتهموا أنفسكم لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، فجاء عمر فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألسنا على حق، وهم على باطل؟ قال: بلى، قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ ف قال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبداً).

قال: فانطلق عمر ولم يصبر متغيفاً حتى أتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ فقال: بلى، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً، قال: فنزل القرآن على محمد بالفتح، فأرسل إلى عمر فاقرأه إيه، قال: يا رسول الله أَوْ فَتَحْ هُو؟ قال: نعم، فطابت نفسه، ورجع). (البخاري/ 3182، ومسلم/ 1785).

ه - العدل والإنصاف:

قال تعالى: [\(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى\)](#) (المائدة: 8)

فالمسلم يقبل الحق من حيث أتى، وحتى لو كان من مخافه، وينبغي أن لا يحمله خلافه مع محاوره على أن يرفض ما معه من الحق، وإذا كان المسلم على هذا الخلق فسرعان ما تطيب نفس المخالف له وتذعن للحق لأنه سيشعر بعظمة هذا الدين وتقديره واحترامه للمقابل.

المصادر: